مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ١: ١١–١٩)

يا إخوةُ أُعلِمكم أنَّ الإنجيلَ الذي بشَّرتُ به ليس بحسبِ الإنسان* لأنّي لم أتسلَّمْهُ وأتعلَّمه من إنسانٍ بل بإعلانِ يسوع المسيح* فإنَّكم قد سمعتُم بسيرتي قديماً في مِلَّةِ اليهود أنّي كنت أضطهدُ كنيسةَ اللهِ بإفراطٍ وأدمِّرها* وأزيدُ تقدُّماً في مِلَّةِ اليهودِ على كثيرينَ من أترابي في جِنسي بكوني أوفر منهم غيرةً على تقليداتِ آبائي* فلمَّا ارتضى اللهُ الذي أفرزني من جوفِ أمّي ودعاني بنعمته* أن يُعلن ابنه فيَّ لأُبشِّرَ بينَ الأممِ لساعتي لم أُصغِ إلى لحمٍ ودمٍ* ولا صعدتُ إلى أورشليمَ إلى الرسلِ الذينَ قبلي بل انطلقتُ إلى ديارِ العربِ وبعد ذلك رجَعتُ إلى دِمشق* ثمَّ إنّي بعد ثلاثِ سنين صعِدتُ إلى أورشليمَ لأزورَ بطرسَ فأقمتُ عنده خمسةَ عشرَ يوماً* ولم أرَ غيره من الرسلِ سوى يعقوبَ أخي الرب.

الغنى في إنجيل لوقا

يظهر من قراءتنا لإنجيل لوقا أنّ الجماعة التي يتوجّه إليها الإنجيليّ لوقا كانت تواجه كيفيّة التعامل مع المال والمقتنيات، ومن خلالهما موضوع الفقراء والأغنياء في الجماعة المسيحيّة. وللوهلة الأولى يظهر كلام الرب يسوع في إنجيل لوقا قاطعاً في ما يختصّ بالغنى والمقتنيات، وقاسياً في ما يختصّ بالأغنياء، ومن ناحية أخرى يطوّب الفقراء فاتحاً لهم الملكوت. حتى يتساءل المرء ما إذا كان للأغنياء مكان في ملكوت الله.

من بدايات إنجيل لوقا موقف قاطع للربّ يسوع: «طوباكم أيّها المساكين (الفقراء) لأنّ لكم ملكوت الله... ويلٌ لكم أيُّها الأغنياءُ لأنّكم قد نِلتم عزاءكم» (لو ٦: ٢٠ و٢٤). ذلك لأنّ الفقير ليس له ما يتعلّق به ماديًّا فيسهل عليه بذلك التعلّق بالله والاتكال عليه، في حين يضع الغنيّ ثقته في ممتلكاته ويكون ماله ضمانته، فتكون تعزيته ماديّةً محضة ينالها في هذا العالم فقط، وتصبح مقتنياته عائقاً أمام دعوة الله له. ولنا في هذا المجال مَثَلُ العشاء العظيم حيث يستعفي المدعوون عن الحضور بسبب مقتنياتهم، مفضّلينها على الدعوة إلى العشاء (لو ١٤: ١٦–٢٤).

موقف الرب يسوع الصارم هذا يرتبط بالقدرة على تقبّل دعوته، لأنّه يعلم أنّ التعلّق بالمال والمقتنيات هو عائق أساسي يحول دون اتّباعه، لذلك دعى إلى التخلّي الكلّيّ عن المقتنيات: «كذلك كلُّ واحدٍ منكم لا يترك جميعَ أمواله لا يقدِرُ أن يكون لي تلميذاً» (لو ١٤: ٣٣). ويظهر ذلك أيضاً في قصّة الرئيس الغني الذي كان يحفظ الوصايا، ولكنّ الغنى كان عائقاً أمام إكمال مسيرته مع الله: «فلمّا سمع يسوعُ ذلك قال له يُعوزك أيضاً شيءٌ، بِعْ كلَّ ما لك ووزع على الفقراء فيكون لك كنزٌ في السماء وتعالَ اتبعني. فلمَّا سمع ذلك حزِنَ لأنّه كان غنيًّا جداً» (لو ١٨: ٢٢–٢٣).

ماذا تكون النتيجة حين يقبل الإنسان فكرة التخلّي عن المقتنيات والأموال؟ هل المطلوب التخلّي الفعلي الكلّيّ عن الأموال؟ هل هذا ما يطلبه الرب يسوع فعلاً؟ إذا كان الإنسان يؤمن أن ما له قد أعطاه الله إيّاه

العدد ٤٤/٢٠١١

الأحد ٣٠ تشرين الأول ٢٠١١

تذكار القديسين الشهيدين

زينوبيوس وأخته زينوبيا

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر التاسع

الإنجيل

(لوقا ١٦: ١٩–٣١)

قال الربُّ كان إنسانٌ غنيٌّ يلبَسُ الأُرجوانَ والبزَّ ويتنعَّمُ كلَّ يوم تنعُّماً فاخِراً* وكان مسكينٌ اسمُه لعازرُ مطروحاً عند بابِه مُصاباً بالقروح* وكان يشتهي أن يشبع من الفتاتِ الذي يسقط من مائدةِ الغني. بل كانت الكلابُ تأتي وتلحسُ قروحَه* ثمَّ مات المسكينُ فنقلته الملائكةُ إلى حِضنِ إبرهيم ومات الغنيُّ أيضاً فدُفن* فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذابِ فرأى إبرهيمَ من بعيدٍ ولعازرُ في حضنه* فنادى قائلاً يا أبتِ إبرهيم إرحمني وأرسِل لعازر ليُغمِّسَ طرف إصبعه في الماءِ ويبرِّد لساني لأنّي مُعذَّبٌ في هذا اللهيب* فقال إبرهيمُ تذكَّر يا ابني أنَّك نِلتَ خيراتك في حياتِك ولعازرُ كذلك بلاياهُ. والآن فهو يتعزَّى وأنت تتعذَّب* وعلاوةً على هذا كلّه فبيننا وبينكم هوَّةٌ عظيمةٌ قد أُثبتت حتى ان الذين يريدون أن يجتازوا من هنا إليكم لا يستطيعون ولا الذين هناك أن يعبُروا إلينا* فقال أسألك إذاً يا أبتِ أن ترسله إلى بيتِ أبي* فإنَّ لي خمسةَ إخوةٍ حتى يشهد لهم لكي لا يأتوا هم أيضاً

لماذا يريد الربّ منه التخلّي عمّا سبق فأعطاه؟

يظهر من خلال قصّة زكّا العشار أنّ ما يطلبه الرب منّا يتخطّى الأشياء الماديّة، فعندما دعا الربّ يسوع زكا ونزل هذا الأخير عن الجمّيزة وقبله في بيته، أعلن زكّا عدم تعلّقه من الآن فصاعداً بأمواله وممتلكاته من خلال قراره إعطاء نصف أمواله للمساكين والتعويض عمّن وشى بهم. نلاحظ هنا أنّ الرب لم يصرّ على تخلّي زكا عن كامل مقتنياته ولم يناقش الموضوع معه بل أعلن مباشرة خلاص زكا وأهل بيته (١٩: ٤–١٠).

الموضوع إذاً لا يرتبط بكميّة المقتنيات التي نتخلّى عنها، بل يرتبط بكيفيّة استعمالها لنصل إلى ملكوت الله. فما لنا هو من الله، ومَثَل الأمناء (الوزنات) يؤكّد على ذلك، فالله هو الذي يعطي الوزنات وعلينا نحن تفعيلها بحسب وصايا الله، وما خوفنا إلاّ بسبب عدم الثقة بوصايا الله (١٩: ١٢–٢٦).

يضعنا الله إذاً أمام خيار أساسيّ: الاتكال عليه كمصدر للأمان، أو الاتكال على الغنى والمقتنيات. والنتيجة موضوعة أمامنا من خلال مَثَل الغني ولعازر ومَثَل الغني الجاهل، فإمّا أن نتّكل على الله ونخدمه فنجلس في أحضان إبراهيم وإمّا أن نتّكل على مقتنياتنا فنصير عبيداً لها ونقبع في الجحيم. ففي المَثَل الأوّل اكتفى الغنيّ بالتمتّع الوقتي بالغنى، وتجاهل واجباته الدينيّة التي تضعه أمام مسؤوليّة الاعتناء بالمحتاجين فتجاهل لعازر. وبدل أن يكسب بركة الله من خلال تطبيقه لوصاياه (تثنية ١٤: ٢٨–٢٩؛ ١٥: ١١) نال جزاء حبّه لذاته وعدم إحساسه بالفقير. لقد كانت الفرصة متاحة له لأنّ يكنز له كنوزاً في السماء إلاّ أنّه فشل. ويشدّد الرب على حدّة الوضع إذ إنّ نتائج هذا الإختيار تدوم إلى الأبد: «وفوق هذا كلّه بيننا وبينكم هوَّةٌ عظيمةٌ قد أُثبتت حتى إنّ الذينَ يريدون العبورَ من ههنا إليكم لا يقدِرونَ ولا الذينَ من هناك يجتازون إلينا» (لو ١٦: ٢٦). وفي المَثَل الثاني اعتقد الغنيّ أنّ مقتنياته ستؤمّن له الراحة والفرح لسنين طويلة، وهو بذلك لم يفكّر إلاّ في نفسه معتبراً أنّ حياته من أمواله: «فإنّه متى كان لأحدٍ كثيرٌ فليست حياتُه من أمواله... هكذا الذي يكنِزُ لنفسه وليس هو غنيًّا لله» (لو ١٢: ١٥ و٢١).

من خلال ما عرضناه أعلاه نستنتج أنّ الرب يسوع كان يؤسّس لمبدأ واحد للكلّ: الاتكال على صلاح الله الذي يجنّب الإنسانِ الاتكال على المقتنيات الماديّة. إنّ ما يحدّد كون المقتنيات هي في ذاتها حسنة أو سيّئة هو خيارنا في استعمالها. فالتخلّي عن المقتنيات أمر ضروري للتلميذ لأنّها قد تشكّل عائقاً وخطراً على حياته في المسيح، وعندما لا تعود أساسيّة في حياته يستعملها بشكل إيجابيّ من خلال مساعدة المحتاجين. فعلى الإنسان أن يكنز له كنوزاً في السماء، من خلال عيش المحبّة فعلاً بالاهتمام بالفقراء.

بعد الموت

في إنجيل الغني ولعازر (لو ١٦: ١٩–٣١) يعطينا الرب يسوع مثالاً عن عاقبة أفعال الإنسان، ونحن نستطيع أن نستخلص منه كيف تكون حالة الإنسان بعد الموت. هذه الحالة ترتبط بما نكون قد قمنا

إلى موضع العذاب هذا* فقال له إبرهيم إنّ عندهم موسى والأنبياء فليسمعوا منهم* قال لا يا أبتِ إبرهيم بل إذا مضى إليهم واحِدٌ من الأموات يتوبون* فقال له إن لم يسمعوا من موسى والأنبياء فإنّهم ولا إن قام واحدٌ من الأموات يصدّقونه.

تأمل

يا إخوتي، لا يضطربنّ أحدٌ عندما يرى الأشرار والظالمين سعداء في هذه الحياة، لأنّه لا يتمّ هنا عقاب للشر ولا ثواب للفضيلة، وإن حصل يوماً ما عقاب أو ثواب فلا يكون كاملاً بل هو تذوّق جزئيّ ومُسبَق لما سيحصل في الحياة الأخرى، وهذا لكي يتعقّل، على الأقلّ، في كلّ ما يفعل أولئك الذين لا يؤمنون بقيامة الأموات وبالدينونة الأخيرة، في كلّ ما يفعلون على الأرض.

إذاً، هل ترى إنساناً سيّئاً يصبح غنيًّا؟ لا تفقد شجاعتك! وعلى العكس، هل ترى إنساناً صالحاً يعاني؟ لا تستغرب! هناك توجد المكافآت وهناك توجد العقوبات أيضاً. فضلاً عن ذلك، فإنّ الشرير لا يعمل أعمالاً سيّئة فقط، إذ من الممكن أن تكون بين أعماله بعض الأعمال الحسنة

به في حياتنا الأرضية بشكل خاص. يظهر من قصة لعازر والغني أن الأول إثر موته نقلته الملائكة إلى أحضان إبرهيم، في حين قبع الثاني في الجحيم عندما مات.

ماذا يحدث للنفوس بعد انفصالها عن الأجساد ساعة الموت؟ سؤال أدّى إلى خلافات حتى داخل الكنيسة فاعتبر البعض أن الإنسان يخضع لدينونة خاصة قبل الدينونة العامة في اليوم الأخير، في حين قال آخرون أن الإنسان يكون في حالة إنتظار كمن أتمّ فحصه وهو في انتظار صدور النتيجة في يوم الدينونة، أما الكنيسة الغربية الكاثوليكية فقد وضعت عقيدة المطهر في المجمع الفلورنتيني سنة ١٤٣٨. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية يعرّف المطهر بأنه «تنقية، وذلك لتحقيق القداسة الضرورية لدخول فرح السماء». إنه مكان وسطي بين السماء حيث الفرح الأبدي والجحيم حيث الألم الأبدي، فهو قريب من الجحيم بآلامه المبرحة وقريب من السماء بتقديس الأنفس المتألمة.

حسبما قرأنا في إنجيل اليوم، لم يذكر الرب يسوع أياً من خطايا الغني سوى أنه كان عديم المحبة، وذلك كان كافياً ليؤدّي به إلى الجحيم. أما لعازر المسكين فقد ارتقى مباشرةً إلى حضن إبرهيم دون أن يخضع لأيّ تطهير رغم اننا نعرف أنه «ليس من إنسان يحيا ولا يخطئ إلاّ أنت وحدك (أي الله) منزّه عن الخطأ» (خدمة جناز الراقدين). من جهة أخرى، أظهر جواب إبرهيم للغني أنّ لا إمكانية لوجود حالة بين الفردوس والجحيم، وأنه يستحيل الانتقال بين الموقعين: «فبيننا وبينكم هوّةٌ عظيمةٌ قد أُثبِتت حتى إن الذين يريدون أن يجتازوا من هنا إليكم لا يستطيعون، ولا الذين هناك أن يعبروا إلينا» (لو ١٦: ٢٦).

تعلّم الكنيسة الأرثوذكسية أن الإنسان عندما خلقه الله، كان يستطيع أن يحيا إلى الأبد باتباعه وصايا الرب، أو أن يموت في معصيته: «وأمّا شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكلُ منها، لأنّك يومَ تأكُل منها موتاً تموتُ» (تك ٢: ١٧). إذاً الموت هو نتيجة الحالة الجديدة التي انتقل إليها الإنسان بعد السقوط، وسببه الخطيئة: «ليس الموت من صنع الله ولا هلاك البشر يسرّه» (الحكمة ١: ١٣). مع ذلك وعد الله بخلاص الإنسان من سلطة الشيطان ومن عبودية الموت منذ اليوم الذي سقط فيه الإنسان، فسبق وأنبأ بتجسّد المسيح وبسحقه لرأس الحيّة التي تمثّل الشيطان (تك ٣: ١٥). من هنا، وخاصةً بعد أن عاينّا الخلاص الذي حققه الرب يسوع وكيف وطئ الموت بموته، نحن نؤمن أن الإنسان إما يعيش حضور الله في حياته هنا على الأرض أو لا، إما يتذوّق الفردوس في حياته الأرضيّة أو الجحيم. وبعد الموت الذي هو انفصال الروح عن الجسد، سيستمر الإنسان في تذوّق إما هذا الحضور الإلهي (أي الفردوس)، أو عدمه والانفصال عن الله، وهذا ما يُعرف بالموت الثاني أو الجحيم.

نعطي مثالاً على ذلك ما حدث مع اللص الذي كان مصلوباً إلى جانب الرب يسوع، والذي اختبر حضور الرب في آخر لحظات حياته. هذا اعترف بخطاياه الكثيرة وهو على الصليب: «لأنّنا ننال استحقاق ما فعلنا» (لو ٢٣: ٤١)، ثم طلب من الرب يسوع أن يذكره متى جاء في

والصالح أيضاً لا يمكن أن يكون بلا خطأ كلّيًا، ستكون لديه في ميوله بعض الزّلات. هكذا يكسب الشرير السعادة الموقتة على الأرض كمكافأة على أعماله الصالحة القليلة، لكنّه سيُعاقب بشدّة في الحياة الآتية على شرّه كله. من ناحية أخرى، يعاني الإنسان الصالح في حياته الحاضرة لكي يتطهّر من خطاياه، وهكذا يفرح إلى الأبد في ملكوت السموات...

لا نحزننّ إذاً عندما نرى الخطأة يفرحون في الحياة الحاضرة بل لنفرح عندما نعاني نحن، لأنّ الآلام التي نعانيها هي إيفاء الخطايا التي نكون قد اقترفناها، وعندما نوفي خطايانا هنا نضمن خلاصنا. لذلك يقول بولس الملهم من الله: «لأنّ خفّة ضيقتنا الوقتيّة تنشئ لنا أكثر فأكثر ثِقَلَ مجدٍ أبديًّا» (٢ كور ٤: ١٧). فضلاً عن ذلك، علينا نحن المسيحيين ألاّ نطلب الراحة بشكل عام. لقد وعد الرب تلاميذه بالضيق: «في العالم سيكون لكم ضيق» (يو ١٦: ٣٣)، «إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم» (يو ١٥: ٢٠). ويؤكّد الرسول وهو غير كاذب: «وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون» (٢ تيم ٣:١٢).

القديس يوحنا الذهبي الفم

ملكوته. أما جواب الرب فكان قاطعاً: «الحقَّ أقول لك: إنَّك اليوم تكونُ معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣) لم يكن هذا اللص قد فعل أية أعمال ليعبّر عن توبته، مع ذلك لم يقل له الرب يسوع أنه ينبغي أن يعبر في المطهر قبل الصعود إلى الفردوس. ربنا قادر أن يمحي كلّ خطايانا وقد كفّر عنها على الصليب، وهو لا ينتظر أن ندفع ثمن خطايانا، تكفيه التوبة الصادقة وهو ينتظرها ليحتضننا ويعيدنا إلى المجد الأبوي كما حصل في مَثَل الإبن الشاطر.

ختاماً، نشير إلى أن الدينونة الأخيرة والحكم الأخير على الراقدين والأحياء هو في المجيء الثاني. من هنا ترفع الكنيسة الصلوات من أجل الراقدين كتعبير عن المحبة والشركة التي تجمع بين الأحياء والذين انتقلوا قبلهم إلى الحياة الأخرى، لأنّهم كلهم يشكلون جسد المسيح.

من خلال صلاتنا نحن الأحياء للراقدين، وشفاعة مَن هم في الفردوس بنا نحن الذين على الأرض، يفرح الرب لأنّه يتأكّد أننا قد تعلّمنا منه الرحمة والمحبة، ونحن بدورنا نؤكّد له أننا لا نيأس من رحمته تعالى لأننا نعي أن كلّ شيء مستطاع لديه.

نقل رفات القديس جاورجيوس

بمناسبة ذكرى نقل رفات القديس جاورجيوس تُقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ٢ تشرين الثاني وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٣ تشرين الثاني في كنيسة القديس جاورجيوس في الرميل.

في الأفكار

+ الأفكار كالطائرات تطير في الجوّ. إن لم تكترث لها فلا مشكلة. لكن إن اهتممت بها، تختلق مطاراً وتسمح لها بالنزول فيه.

+ عندما يكون القدر على النار يغلي يبقى الذباب بعيداً لا يقترب منه. لكن عندما لا يعود يغلي، يأتي الذباب ويحلّ فيه. الشيء نفسه يحصل مع النفوس. عندما تكون قريبة من الأب الروحي ومن أسرار الكنيسة، يبقى الشيطان بعيداً عنها.

+ القول «لا أستطيع» لا قيمة له في حياة الإنسان. والقول «لا أريد» أو «لا أحبّ» هو الذي يقود إلى القول «لا أستطيع».

+ لا يجدر بنا أن نتصرّف كالأطفال فنطلب إلى الله على الدوام أموراً صغيرة. عندما نلتمس أمراً سهل التحقيق بشرياً، فلنسعَ بقدر استطاعتنا إلى تحقيقه بأنفسنا. علينا أن نتّجه إلى الله فقط عندما لا نستطيع كبشرٍ أن ننجز ما نودّه.

+ الله يريدنا بسطاء، من دون أفكار أو معرفة كثيرة، مثل الطفل الذي ينتظر (يتوقع) كلّ شيء من والديه. لذلك قال الرب «إن لم تعودوا كالأطفال، فلن تدخلوا ملكوت الله».

الشيخ باييسيوس الآثوسي

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb